

## حديث : الطهور شرط الإيمان

09:03:58 2006-03-20 | الشبكة الإسلامية



### متن الحديث

عن **أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري** رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **( الطهور شرط الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ - تملأ - ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها )** رواه **مسلم** .

### الشرح

كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم في قومه ما أوتيته من الفصاحة والبلاغة في كلامه ؛ فعلى الرغم من كونه أمياً لا يحسن القراءة و الكتابة ، إلا أنه أعجز الفصحاء ببلاغته ، ومن أبرز سمات هذا الإعجاز ما عُرف به من جوامع الكلم ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم كان يرشد أمته ويوجهها بألفاظ قليلة ، تحمل في طياتها العديد من المعاني ، ولم تكن هذه الألفاظ متكلفة أو صعبة ، بل كانت سهلة ميسورة على جميع فئات الناس .

وها نحن أيها القاريء الكريم ، نتناول أحد جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا الحديث قد اشتمل على العديد من التوجيهات الرائعة ، والعظات السامية ، تدعوا كل من آمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، أن يتمسك بها ، ويعمل بمقتضاها .

وأول ما ابتدأ به النبي صلى الله عليه وسلم وصيته هو الطهور ، والطهور شرط الصلاة ، ومفتاح من مفاتيح أبواب الجنان ، ويقصد به الفعل الشرعي الذي يزيل الخبث ويرفع الحدث ، ولا تصح الصلاة إلا به ، ويشمل أيضاً تطهير الثياب والبدن والمكان .

وقد اختلف العلماء في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : **( الطهور شرط الإيمان )** على أقوال، منها : أن الإيمان الحقيقي يشمل طهارة الباطن والظاهر ، والوضوء يطهر الظاهر ، وهذا يدل على أن الوضوء شرط الإيمان ، واستشهدوا بالحديث الذي رواه **مسلم** عن **عثمان بن عفان** رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **( من توضأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطيأه من جسده ، حتى تخرج من تحت أظفاره )** ، وقالوا أيضاً : الطهارة هي شرط الصلاة ؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بطهور ، ومستند هذا القول أن المقصود بقوله في الحديث : **( شرط الإيمان )** هو : الصلاة ، ونظير ذلك قوله تعالى : **{ وما كان الله ليضيع إيمانكم }** ( البقرة : 143 ) ، أي : صلاتكم ، ومما قالوه أيضاً : أن الطهور شرط الإيمان ؛ لأن الطهارة تكفر صغائر الذنوب ، بينما الإيمان يكفر الكبائر ، فصار شرط الإيمان بهذا الاعتبار ، ولعل من الملاحظ أن هذه الأقوال متقاربة ، وكلها تصب في ذات المعنى .

ثم انتقل الحديث إلى الترغيب في ذكر الله عزوجل ، فقال : **( والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ - تملأ - ما بين السماوات والأرض )** ، وهذا يبين عظيم الأجر المترتب على هذه الكلمات الطيبات ، فالحمد لله تملأ الميزان يوم القيامة ؛ وذلك لما اشتملت عليه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتبجيل له ؛ لذلك يستحب للعبد إذا دعا أن يقدم بين يديه الثناء الجميل ، مما يكون أدعى لقبول دعائه ، ثم إن الحمد والتسبيح يملآن ما بين السماء والأرض -

بنص الحديث - ؛ والسر في ذلك : ما اجتمع فيهما من التنزيه للذات الإلهية ، والثناء عليها ، وما يقتضيه ذلك من الافتقار إلى الله ؛ وهذا ما جعل هاتين الكلمتين حبيبتين إلى الرحمن ، كما جاء في حديث آخر .

وأما الصلاة ، فقد وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنور ، وإذا كان الناس يستعينون على الظلمة بالنور ، كي تتضح لهم معالم الطريق ، ويهتدوا إلى وجهتهم ، فذلك شأن الصلاة أيضا ، فهي نور الهداية الذي يلتمسه العبد ؛ حيث تمنع الصلاة صاحبها من المعاصي ، وتنهاه عن المنكر ، كما قال تعالى في كتابه : **{ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر }** ( العنكبوت : 45 ) ، ويقوى هذا النور حتى يرى أثره على وجه صاحبه ، قال الله تعالى : **{ سيماهم في وجوههم من أثر السجود }** ( الفتح : 29 ) ، ولن تكون الصلاة نورا لصاحبها في الدنيا فحسب ، بل يشمل ذلك الدار الآخرة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : **( بشر المشائين في الظلم إلى المساجد ، بالنور التام يوم القيامة )** رواه الترمذي .

وإذا كانت الصلاة من مظاهر العبودية البدنية ، فإن الصدقة تعد عبادة مالية ، يزكي بها المسلم ماله ، ويظهر بها روحه من بخلها وحرصها على المال ، لاسيما وأن النفوس قد جبلت على محبة المال والحرص على جمعه ، كما قال الله عزوجل في كتابه : **{ وتحبون المال حبا جما }** ( الفجر : 20 ) .

ومن محاسن هذه العبادة - أي الصدقة - أن نفعها متعد إلى الغير ، إذ بها تسد حاجة الفقير وتُشبع جوعته ، ويكفل بها اليتيم ، وغير ذلك من مظاهر تلاحم لبنات المجتمع المسلم ؛ الأمر الذي جعل هذه العبادة من أحب الأعمال إلى الله تعالى ، وبرهاننا ساطعا على إيمان صاحبها ، وصدق يقينه برّبه .

ولنقف قليلا مع قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : **( والصبر ضياء )** ، لنستوضح دقة هذا التعبير النبوي وروعه ، فإنه صلى الله عليه وسلم قد وصف الصبر بالضياء ، والضياء في حقيقته : النور الذي يصاحبه شيء من الحرارة والإحراق ، بعكس النور الذي يكون فيه الإشراق من غير هذه الحرارة ، ويوضح هذا المعنى قوله تعالى : **{ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا }** ( يونس : 5 ) ، فالشمس ضياء لأنها مشتملة على النور والحرارة والإحراق ، أما القمر فهو نور ، وإذا عدنا إلى قوله صلى الله عليه وسلم : **( والصبر ضياء )** أدركنا أن الصبر لابد أن يصاحبه شيء من المعاناة والمشقة ، وأن فيه نوعاً من المكابدة للصعاب ، فلا ينبغي للمسلم أن يعجزه ذلك أو يفت من عزيمته ، ولكن ليستعن بالله عزوجل ، ويحسن التوكل عليه ، حتى تمر المحنة ، وتتكشف الغمة .

ثم ينتقل بنا المطاف إلى الحديث عن القرآن الكريم ، فإن الله عزوجل أنزل كتابه ليكون منهجا للمؤمنين وإماما لهم ، يبين لهم معالم هذا الدين ، ويوضح لهم أحكامه ، ويأمرهم بكل فضيلة وينهاهم عن كل رذيلة ، فانقسم الناس نحوه إلى فريقين : فريق عمل بما فيه ، ووقف عند حدوده ، وتلاه حق تلاوته ، وجعله أنيسه في خلوته ، فذلك السعيد به يوم القيامة ، وفريق لم ينتفع به ، بل هجر قراءته ، وانحرف عن دربه ولم يعمل بأحكامه ، فإن هؤلاء يكون القرآن خصيما لهم يوم القيامة ، وبين هذا الفريق وذاك يقول الله عزوجل واصفا إياهما : **{ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا }** ( الإسراء : 82 ) .

ثم يتوج النبي صلى الله عليه وسلم كلامه بوصية رائعة ، يحدد فيها أحوال الناس وطبائعهم ، إذ الناس سائررون في خضم هذه الحياة ، يغدون ويروحون ، يكدحون في تحقيق مآربهم وطموحاتهم ، والذي يفرق بينهم : الهدف الذي يعيشون لأجله ، فمنهم من سعى إلى فكاك نفسه وعتقها من نار جهنم ، فباع نفسه لله تعالى ، ومنهم من جعل همه الحصول على لذات الدنيا الفانية ، وشهواتها الزائلة ، فأهلك نفسه وباعها بثمن بخس ، قال الله عزوجل : **{ ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها }** ( الشمس : 7 - 10 ) ، فمن زكى نفسه ، فقد باعها لله واشترى بها الجنة ، ومن دس نفسه في المعاصي ، فقد خاب وخسر ، وكتبت عليه الشقاوة في الدنيا والآخرة ، نسال الله تعالى أن يوفقنا لطاعته ، ويكرمنا بدخول جنته .